

محاورة مع أبي الطيب المتنبي

الى الرفيقة سميرة

لا ألوي على شيء ، وأمشي
في المضارب ، والمضارب
والليل يعطيني عباءته المهيبة ،
لا تحير ولا تجيب ...
والليل يعطيني عباءته المهيبة ،
والنهار يقص أخباري على العسس
الموزع في الثنايا
وأنا أهوم في البراري ،
والبراري تسأل النجم المشعشع
عن فتى يفزو السباسب ،
لا يكف عن النفار ،
ولا يخيب .

- ٥ -

الليل رهبتة ،
وفي قلبي نداءات الى سفر ،
وحراس الامير يلاحقون البيد بحثا
عن خطى رجل ، يوزع في
صعاليك القبائل سورة البركان ،
ثم يفوص في الرمل المذهب ،
حين يأتي الجند ، والرمل المذهب
لا يسوح بسره العربي ، لكن
الرياح تذيع بعضا من قصائده
الكثيرة ، وهو يطلق في الهجير
خطاه. منتشرا مع الريح المثيره...
يا صعاليك القبائل ، ان هذا اليوم
يومكم ، وانسي اطلق البركان ،
فانتشروا مع الرمل المعذب، وارفعوا
الرايات في الآفاق ، وامضوا نحو
بادية الشام ، فان فيها جذوة
من روح فارسنا الشهيد ، وفي
رباها ينبت السدر الذي لا
يستطيع هجير آب المستطير ، بأن
ينال من اخضرار غصونه النضرات،
في يوم من الايام ، فانتشروا الى
كل المضارب ، واصرخوا في القفر
هيا يا نشنامى ...

أبوأنا نهب لغزو الروم ، والامراء
في كل العواصم ، يحضرون الخبز
والديباج والفرش الوثيرة والسبايا.
أبوأنا نهب ، ونحن نعد للعلمان
أوسمة ، وللندمان أشربة ، وللفقراء

الليل رهبتة
وبي شوق الى سفر طويل
أمتد فيه حيث لا تصل
العيون الرئيقيه
لاحظ في حدق الرفاق المولعين
بطلعة النجم البهيه
والساهرين على السبيل

الليل رهبتة
وبي شوق الى سفر طويل

- ٢ -

الليل رهبتة
ووجه المهرة الخضراء ممتدا
على الرمل الخريفي المذهب
وأنا أسابقها فتسقينني ،
وأتركها فتلحقني ، وأدعوها
الى كأس
فتسقينني ولا تشرب

يا مهرتي الخضراء شوقني التحفز
والتغاوي والصهيل
لورود نبع المستحيل
والدرب أبعد ما يكون
والدرب لا يفضي الى يافا ،
ولا يفضي الى عكا ، ولا
يفضي الى المدن المجوسيه

فلندفع في الرمل ،

ولنعبر الى الشنهاء ،

ولنشرب من البيداء اشواق
الظهيرة

ولنقتحم سر الينابيع الغزيره
فالدرب أبعد ما يكون
والدرب أوعر ما يكون
يا مهرتي الخضراء لوعني
الضياع عن السبيل

ناجيو علوش

فلنشرب الكأس المجرب
قبل اعلان الرحيل ،

- ٣ -

وأنا المطارد ما عرفت من الولادة
صدر امي
كانت سعالي البيد ترصدها ،
وترصدني ،
وكان أبي طريدا
فرضعت من عطش الحسين هوى
وعانقت الدم المهرق في يوم
الشهادة
وعرفت في الفلوات كيف يصير
ذاك الهم همي ...
ودخلت نخلة (١)

غير أنني لم اكن فيها وحيدا ،
كانت عيون حانيات ، حيث أعب ،
ترصد الاسدي (٢) ، تدعوني الى
النوم الهنيء ، وتغمر الآفاق
جودا ...

- ٤ -

وأنا الذي يمت بادية السماوة ،
أسأل الكتبان عن نفر يجوبون
الصحاري ... أعبر الوديان

(١) نخلة او نخلة : قرب بعلبك نزلها
المتنبي وقال :
ما مقامي في ارض نخلة الا
مقام المسيح بين اليهود
(٢) فاتك الاسدي ، قاتل المتنبي ، كما
تجمع الروايات .

ادوية من السم الزؤام ، ولا نسائل
عن ارامل أو تكالي أو يتامى

اوطاننا نهب لجيش الروم ،
والامراء يستبقون كي ياتوا لقيصر
بالهدايا ...

- ٦ -

يا أيها الوجه الذي يصبو
الى وجعي ولا يحكي
ويدعوني الى ولع ولا يحكي ...
أحكي مرة عن أعمق الاشجان ؟
.. في قلبي لهيب لا يراعي
وعيناها تصدان اعترافي
وهي تدعوني الى الكأس ،
وتدعوني الى الصمت ،
وحبي ، كلما حاولت ان يخفى
اناني غير خافي ...
أيها الوجه الذي يشرق بالنجوى
ويزهو بالامان
انني أحكي عن الاوجاع في غير
الوان ...

- ٧ -

للليل رهيته
وحراس الامير يقلبون الرمل
بحثا عنك ، والرمل المعذب لا
يبوح ، وانت منتشر مع الريح
المثيرة ... غير أن خطاك لا تقوى،
فتسقط بين ايديهم ، وتدخل حمص
مطعونا ، ويتركك الصعاليك
النشامى في قيود الحور
والصفصاف (١) ... ينتشرون
في عصب القبائل .

... عفوا أخوا الفلوات لا تفرع ،
ولا ترهبك عريدة الجلاوزة القساء،
لان بادية الشام تموج بالدم والزلازل
... فالعق جراحك ، وانتظر
فجر الغد الاتي ، ولا تسأم ، لان
قيودك الهرمات سوف تهر حين
تسم الريح الجنوبيه ...

(١) يروى أن المستنبي قيد بقيود كهذه .

- ٨ -

وانا المطارد ...
ذاك كافور يلاحقني الى تلب
الجزيرة ،
يطلق الفرسان في اثري الى
الوادي ، ويفري كل أوباش
القبائل باصطيادي

فلقد أصر بان أعود اليه في قيد
من الذهب المرصع ، كي يحاورني
على نكران نعمته الاميري

ولقد أصر بأن يعيد الي
رشدي ، بعد أن اوغلت في
هوسي ، واسقيت القبائل
خمرة الشهداء ، واستفرت
أرجال الجراد ...

ويريدني أن اهجر الفلوات والرمل
المحب ، أن أعود الى الحظيرة، معلنا
فشلي ، وأن أنسى على الفرش
الوثيرة كل اوجاع الجماهير الفغيره
ويريد صوتي ان يكون مع الدراهم
والجواهر في خزينته الحديدية ...

وأنا أكابد ...

ذاك صوتي لا يعاد ، ولا يخبأ في
الصناديق الصغيرة ... ذلك صوتي
يعشق الآفاق والقمم السوامق
والبوادي ...

وأنا أجالد ...
كي أعبر عن مشاعر لا يحسن
بها الامير ، ولا يقدرها الخليفة .
وهو مضمود على دست الخلافه
وأنا أجاهد ...

كي أعمم في القبائل
ما تحدثني السقيفة ،
وهي تشحنني بأكسير الرصافه

- ٩ -

وأنا المطارد ...
حدثوني في السماوة ان في
طرف الجزيرة مدعي ثار يهددني،
وأن العار لا يمحي بغير الدم ...

اذ اني قذفت ذمار محصنة .
ولم أمنع لساني من حديث يחדش
الحرمات ... يا تعار هذا فاتك
الاسدي منتشرا على الآفاق ،
منتظرا فريسته الشقية ، مقسم
أن يترك الطير الجوارح تشبع
الشهوات من جسدي، ليرضي ضبة
العتبي والشرف الرفيع ، ويفسل
العار الذي لبسوا ...

يا للعار ... هذا الفاتك الاسدي
ممتد على الآفاق ، منتظر لقاءك،
فاعبر الفلوات مختفيا ، وكن حذرا
لان لفاتك الاسدي في البيداء
ارصادا من الطير الجوارح
والسعالى ...
هذا مصيرك ...

فاحذر الاسدي في الفدوات
والروحان ، لا تقبل على المجهول ،
لا يحميك انسان ولا جان ،
ولا يفنيك ما جمعت من حب القبائل
في حياتك ، او أحرزت من جاه
ومن سلطان .

- ١٠ -

عفوا أخوا الفلوات ، أين تفر ، هذا
الفاتك الاسدي منتظرا ، وكافور
يؤلب كل أوباش القبائل في الشام،
وسيف الدولة المضري لم يفهم رحيلك
وهو اذ يرجو حضورك سوف لا
ينسى خروجك عن ارادته السنيه .

عفوا أخوا الفلوات، ان العاهل العربي،
لم يفهم لماذا كنت في حلب ، وشاء
بأن تكون من البطانة ، ان تعيش مع
البطانة ، ان تقاتل تحت رايته ،
وتنسى عهدك القدسي ... أن
تحیی مع الندماء ، تبسم عند
بسنمته وتبكي حين يسعل ، ان ترى
الغلمان فرسانا ، وان تتجاهل
الفرسان من كلب ، ومن بكر ، ومن
قيس ، ومن عيلان ... ان تنسى
لماذا جئت ، أو قاتلت ، أو طوفت
في العرب ...

ليل رهبته
وفي الفسطاط خلفت اليمامة ، كان
فرخاها صغيرين ، وكانت في
لياليها أعاصير ضواري
مسحت رأسي بكفيها ، وأعطتني
بعينيها أعاجيب السلامة
واستدارت نحو فرخيها ، وقالت لي
سئقي بانتظار ...
فتذكرنا اذا حدثت أزهار البراري
وتذكرنا اذا أشجك في الفجر هدبل

ليل رهبته

وقلبي في مجاري الريح سابح
وأنا أراها ، وهي رابضة على غصن
تحاصرها الجوارح ...
فأصد قلبي عن مخاوفه ، وأعطيتها
على حبي علامه ...

هل تقتلوني باسم ضبة
ان تشاؤوا فاقتلوني ...
وتحملوا عبء الدم المهرق في غير
القضية ...
وتذكروا ان الدماء هي الدماء
وانني كنت القاتل (١) ،
وقاتلي ليس القاتل ...
وتذكروا اني رايت دمي على
قسمات كافور الزريه ...

ليل هدائه
وفي طرق المدينة يخطر الفرسان
مزهوين بالخوذ الحديدية ...
يتدافعون على المداخل ، والمنازل
تسأل المدياع عن غزوات جيش
الروم ، في كل المناطق ، والمدائن
في بلادي تستريح على الهزيمة ،
ثم تفض مقلتيها ... حين يعلن
حاكموها أنهم هزموا الجيوش البربريه

(١) قال المتنبي ، واقتبس محمود درويش :
وانا الذي اجتذب النية طرفه
فمن الطالب والقاتل القاتل

وأغد سيري ، لا يكل على
احتراق الرمل طرفي
وأنا المطارد ...
هل تعيرني قريش بالتخفي ؟
وبطاح مكه تعرف الفتیان ،
ان غابوا وان حضروا ،
وتعرف كيف تعمرهم
اساطير الشهادة في القدو
وفي الرواح ...
فقراء مكه علموني كيف
أنسى في ليالي العصف خو في

ليل وحشته
وبي خلجات نفس تسأل النجم
المغرب . عن حبيب كان غرب ،
ثم لم يسأل ولم يكتب ولم يرجع
الى دار بنيها ، ولم يترك لنا
أثرا نلاحقه ... ظننا انه يأتي
مع الطير الربيعي ، او الطير الخريفي ،
أو الطير الشتائي ، فلم يأت ...
ورحنا نسأل الركبان عن عيش
له في غابة اخرى ، فلم نعر على
عش ، ورحنا نسأل الركبان عن
عظم وعن ريش ، فلم نعر على
عظم ولم نعر على ريش ، ترى
هل تخبر الاحباب والاصحاب ان
الالف محكوم ببغيته ... وان
الالف لن يرجع ...

ليل وحشته ...

وقلبي لا يؤمل أن يعود الى
الحبيب ، ولا يقامر ان يقول
مضى الحبيب ...

ليل وحشته

وبي رعش شتائي غريب ...

هل تطلبوني باسم ضبة
ان تشاؤوا فاطلبوني
فأنا المطارد تعرف الفلوات
وجهي والعواصم
وأنا المؤمن لن أساوم ...

... وفي حلب ، وفي الامصار ،
يشعل محفل الكهان نيران الكريهة
حول قصدك ، يطرحون على القبائل
أنك اخترت الهريبة ، حين كان
الروم يقتربون ...

... عفوا انهم يدرون ان الروم
ينطلقون في حلب ، وفي الامصار ،
منصورين ، والامراء ينتظرون
قسواد الدمستق في المشارف
بالذبائح والخزامي

عفوا أخوا الفلوات .. هل تحكي
لهم ما دمت من حلب ، وما استهدفت
أو ما رمت من سكنك بادية السماوة ؟
من أيامك التكدات في الفسطاط ،
انهم يدرون قصتك القديمة
والجديدة ، يعرفون بانك اخترت
الرحيل الى حمى الشهباء منسرحا ،
لتدفع عن حماك الروم ، لكن
الامير الشهم اوغل في الغواية ،
واستوى في عرشه ملكا ، وراح
يحارب الاروام بالفلمان ، لم يركن
الى الفتیان من فرساننا النجب ،
ولم يبحث عن الفرسان في عبس
وفي ذيبان ... ان الفارس المقوار
محكوم بدولته ، ومحجوز عن
الفقراء بالسلطان ...

وأنا المطارد ...

لا أقاتل جيش قيصر بالعلاج ،
ولا اواجه جيش كسرى بالصنوج ،
ولا أرى الامراء قوادا ، لامشي
تحت رايتهم ، فلي عهد مع الفقراء
لا أرضى له بدلا ، ولي ثقة برايتهم
أحاذر ان يزعزعا سراب الوهن
والخدلان ...

وأنا المطارد

ما رميت على الطريق حطام سيفي
أو تركت زمام مهرتي الخفية
للرياح
أمشي فتشتعل الجراح
أمشي فتندمل الجراح

... وأوامر الاستاذ (1) تصدر
بالتوغل في المدينة ... فهو مشغول
بكوكبة من الشذاذ تسكنهم أساطير
الشهادة ...
... العفو ، هذي حكمة الاستاذ ،
والاستاذ معروف بحكمته ، ومشهور
بخبثته ، ومحسود بفظنته ، فلا
تخشوا على أمن العشيره ...

للليل هداته
وكافور يقهقه في استراحته ، لان
جنوده الشجعان جاؤوه بكوكبة
من الاسرى ... وخصوه بصندوق
به أوراق مطلوب يوزع في القبائل
سورة البركان ...

للليل هداته
وراسي لا يقر على وساده ...

- ١٦ -

يا أيها الوطن المسافر في الجبال ،
وفي السهول ، وفي الهضاب ، وفي
الصحاري ...
يا أيها الوطن المعزز بالمحيطات
الفسيحة والبحار ...
طوفت فيك من الطفولة غير أني
لم اسافر بعد ... ذاك النيل يدعوني
وتلك شوامخ الاوراس ... هل يمتد
عمري كي أغوص الى منابعك السخيه
... ودعت دار ابي صفيرا ،
وارتطت ، وكنت القى فيك رغم
شراسة الامراء عائلتي وداري ...
يا أيها الوطن الموزع في الخرائط
والمضيع في المصارف ، والمقنن في
الجمارك ، والمجوع بالجسوزات
الكثيرة

ابناؤك الاحباب ما زالوا على درب
المحبة يعبرون ، ويدفعون ضريبة
الشفغ الغزيره ...

- ١٧ -

للليل رهبته
وقلبي سوف يرحل في بلادي ...
(١) الاستاذ لقب كافور .

لكنه يجري بصدق لا يخل به
انقطاع ...

عفوا أخوا الفلوات والجففات لا ترسم
على شفتيك آثار الجفاف ...

للليل عادته

وقلبي لا تغيره الرياح الموسمي ،
فاذا تخاذل متعبون على الطريق ،
وخلفوك بغير زاد

فاصبر قليلا ان سربك سوف
يأتي من مضارب لا تفادرها
الحميه ...

ان الصراع هو الصراع
وان اصراع لو عصت قدم ، ولو
كلت ذراع ...

والنيل يعرف وجهه البحري ، مهما
غير الرمل القوافي ...
والنيل لا ينسى ، ولا يلهيه عن
عطشي الضياع ...

عفوا أخوا الفلوات ... جيش الروم
في الابواب ، والفلمان يفتسلون ،
والامراء ، حين تكالب الفازون ،
خلونا بلا مال ، ولا جنيد ،
واعطونا اشارات الفرار

وانا يلاعيني السراب ، فلا اجيب ،
وأشرب الكأس المجرب حين يتعني ،
فتتكشف الاحابيل الخفية ...
ويبين لي درب اللقاء ،
على الرمال الجاهلية .

للليل عادته

ونيلي لا يشت ولا يراع
ولا يكف عن المسيل .

- ١٩ -

للصبح طلعت

وقلبي لا يمل من الرحيل ...
وانا المسافر ...

في دمي زخم العواصف والزلازل
والصهيل ...

لم يبق عندي مستحيل ...
الزاد من جسدي وفي قلبي الدليل ...
ما أجمل السفر الطويل ...

فياتنام ٢٠-٢٧/١١/٧٩

يا بلادي

ان تكوني

سجنا ، فلي منه نصيب ارتضيه
وان تكوني ...

قبرا ، فلا ارضى بديلا عنه يوما ،
أو تكوني ...

نجوى ففي عصبني ، وفي عرق المحبة
في فؤادي ...

وانا المسافر فيك ، لا ارضى الرحيل
الى سواك ، ولا اغرب عن هواك ،
ولا يخامرني الوداع ...

في القلب نبع هوى ... يفور في
المقام وفي الرحيل ، فلا تجفقه
الرمال ، ولا يبده اندفاع ...

وانا المسافر فيك ، اعبر من رباك
الى رباك ، فلا أمل ، ولا اكل ، ولا
يفارقني التياع ... وأمر بالخلفاء
والامراء والتجار ، لا ألقى السلام ،
ولا أرد لهم تحية . يتحرق الشهداء
في جسدي ، ويسكنني الجياع ...

في القلب نبع هوى ...

وانت هواي في جوعي وفي عطشي ،
وانت الشاعرية في شجوني ...
ما شئت كوني ...

اني اريدك ان تكوني

سلوى لكل المتعبين ،

وواحة المهج الشقيه ...

ما شئت كوني

يا بلادي ...

ان قلبي لا يوزع أو يروع

أو يميل ...

ولا تضيعه الرياح الساقيات

عن السبيل ...

- ١٨ -

عفوا أخوا الفلوات ، لا تأخذك

لحظتك الشجيه ...

فالنيل يحمل سره الازلي للمدن
الكبيرة والداكر والفيافي ...

والنيل يطلق خضرة الرمل المعذب

لا يراوغ أو يجافي ...

والنيل يأخذه انقباض ،

ثم يأخذه اتساع